

ابن بَطوطَه

٦

السلسلة التاريخية

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل



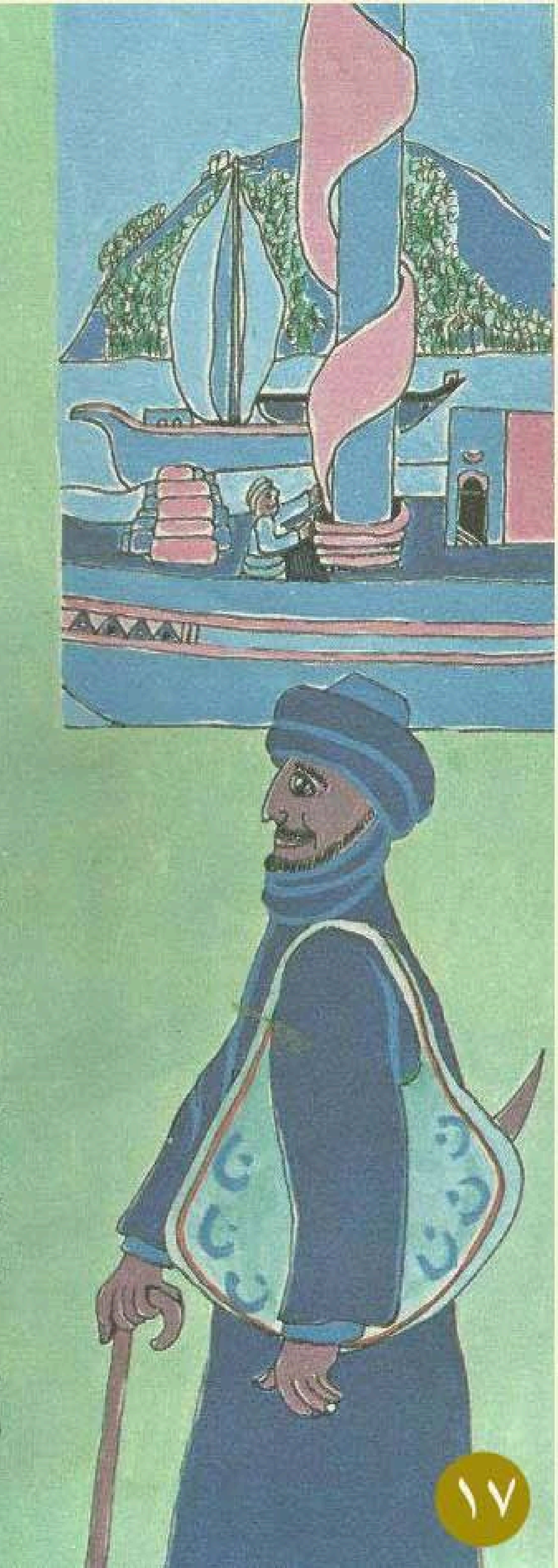


مسح ضوئي : د. نزار حبيب عباس
اعداد وتوثيق : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٤م

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الأطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة : ٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها



وبعد أن قضى في سرنديبَ وما جاورها فترةً طويلةً ، سافَرَ بحراً وبراً إلى جزيرة جاوة . وهي اليومَ جزءٌ من جمهورية أندونيسيا فوصَفَها بأنها خَضِرةٌ نَضِرةٌ وأكثرُ أشجارِها النارجيلُ والفوفل والقرنفل والعنبة والكافور ، وفيها الذهبُ والقصديرُ. واللُّبَان الجاوي منسوبٌ اليها . وأهلها يركبون الخيلَ والفِيَلَة . وَبَحرُها فيه حُمْرَةٌ وهو غاصٌّ بالجُنُوكِ أي السفنِ . ولأهلِ جاوةَ شجاعةٌ ونَجْدَةٌ .

وبعد أن طافَ بكثيرٍ من جُزُر تلك المنطقة ذَكَرَ أنه مرَّ بجزيرةٍ تقعُ ضمنَ جزائرِ جمهورية الفلبين اليومَ .



وقرَّرَ أخيراً السفرَ الى الصين رَغْمَ صُعوبةِ الطريق ومَشَاقِّ السَّفَر . دَخَلَ الصينَ عن طريقِ بلادِ جنوبي شرقي آسية التي تَضُمُّ اليومَ الملايو وفيتنامَ وكمبوديا وبورما وغيرها . . . وأولَ دُخُولِهِ الصينَ رأى دَجاجَ الصينِ العجيبَ وديوكُها بِقَدْرِ النَّعامة . وشاهدَ كيفَ يَصْنَعُ السكّانُ الفُخّارَ الجميلَ بالنار . . .

وحين توَغَّل
في هذه البلاد تعجبَ من استعمالِ السكّان للنقودِ الوَرَقيةِ في البَيْع والشّراءِ وأبصرَ الموظفينَ الصينيين في الموانيءِ وهم يُقَيِّدون أسماء المسافرينَ في دفاترِهم ويفتشونَ المراكبَ. وقال إنها بلادٌ آمنةٌ فانَّ الواحدَ يَظَلُّ مسافراً تسعةَ شُهورٍ ومعه الأموالُ الطائلةُ فلا يخافُ عليها.

— مكتبة الطفل —

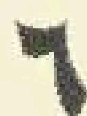
دائرة ثقافة الاطفال

وزارة الثقافة والاعلام

الجمهورية العراقية



السلسلة التاريخية



ابن بَطوطَه

تأليف : زهير القيسي

رسوم : فؤاد الفتيح

تصميم : شريف الراس





فِي سنة ١٣٥٥ للميلاد ، كتبَ رَجُلٌ عجوزٌ في السطور الاخيرة من كِتابٍ قضى عدةَ أعوامٍ في تأليفِهِ هذه الكلمات : «هَهُنا انتهت الرحلةُ المُسَمّاةُ : تُحفَةَ النُّظّارْ في غرائبِ الأمصار وعجائب الأسفار ، وكانَ الفراغُ من تقييدِها في ثالثِ ذي الحِجّة عامَ ستةٍ وخمسينَ وسبعمائةٍ للهجرة» .



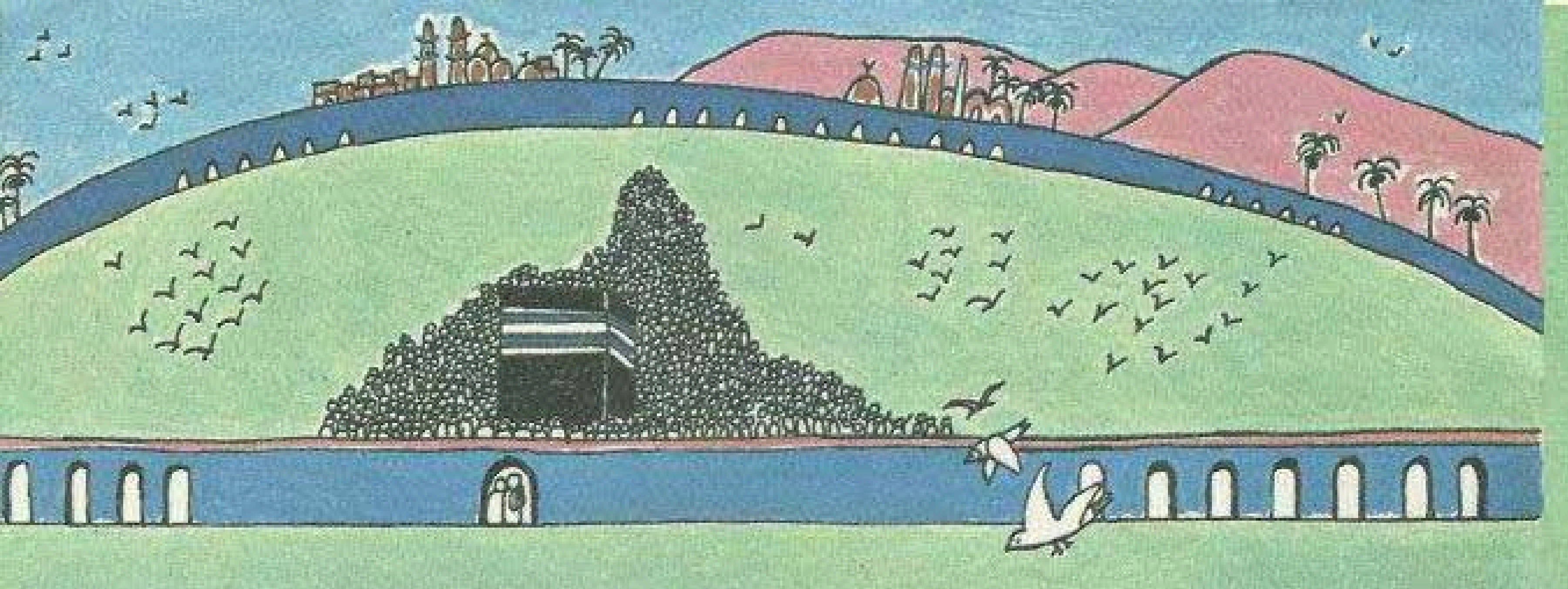
كانَ هذا الرجلُ العجوزُ هو (**الشيخُ الفقيهُ العالِمُ المُعْتَمِدُ في سياحتِهِ على ربِّ العالَمينَ أبو عبدِاللهِ محمدُ بنُ عبدِاللهِ اللواتي الطَّنْجي المعروف بابن بَطُّوطَةَ**) .

ومن طَنْجَةَ في أقصى المَغْرِبِ العربي عندَ ساحلِ المحيط الأطلنطي كانَ ابنُ بَطُّوطةَ قد بدأ رِحْلَتَهُ التاريخيةَ قبلَ كتابتِهِ تلكَ السطور بسنواتٍ طويلة .

قال ابن بَطُّوطة : «كانَ خُروجي من طَنْجَةَ مَسْقَطِ رأسي في يوم الخميسِ من شهرِ رَجَبَ الفَرْدِ عامَ خمسةٍ وعشرينَ وسبعمائةٍ للهجرة معتمداً حَجَّ بيتِ الله الحَرَام» . . .

كانَ ذلكَ في سنة ١٣٢٤ للميلاد . . .

وَعَبَرَ الرَّحَّالَةُ العربيُّ الشمالَ الأفريقيَ كلَّهُ ماراً بتونُس وليبيا ومصرَ ، فوصفَ مُدُنَها وآثارَها وناسَها ، وشارَكَ أهلَها حياتَهم وتفَهَّمَ مشاكلَهم وأكَّدَ وحدةَ الوجودِ العربي من أقصى المغربِ إلى أقصى المشرق . ثم ارتحلَ



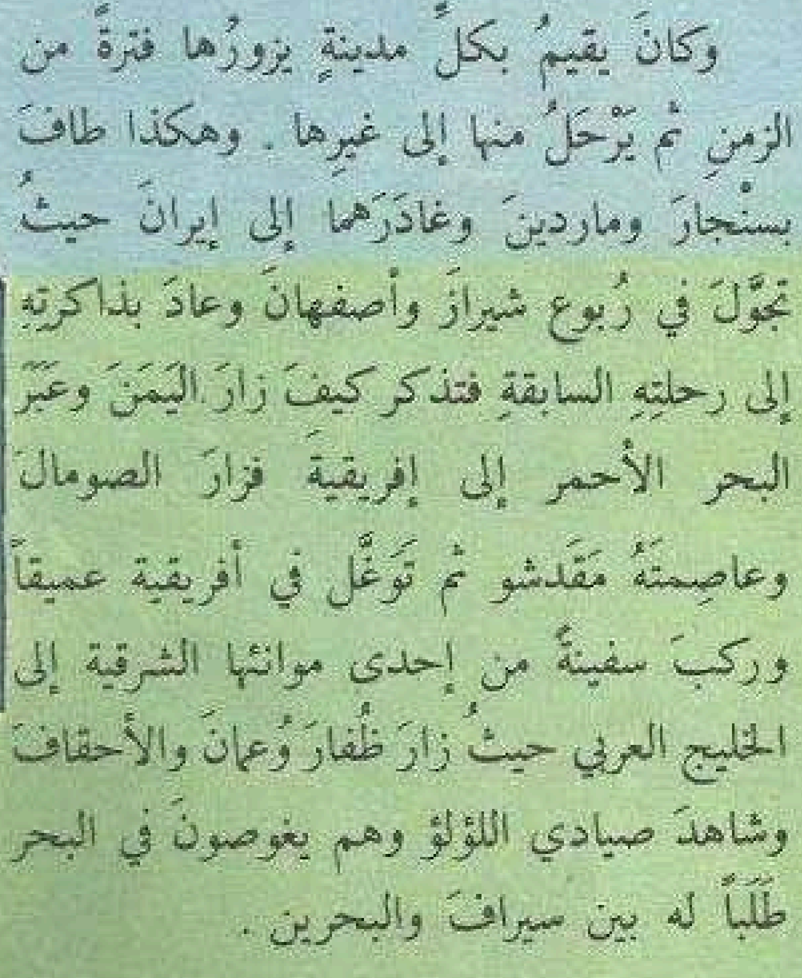




عَبَرَ فلسطينَ إلى الشامِ وهي لبنانُ وسوريةُ . ثم انحدرَ جنوباً حتى وصلَ مكةَ المُكَرَّمةَ حاجّاً . . وعادَ بعدَ ذلكَ معَ رَكْبِ العراقيينَ عَبْرَ الصحراء العربيةِ إلى البَصْرةِ وواسِطَ والنَّجَفِ ثم . . . بغداد .

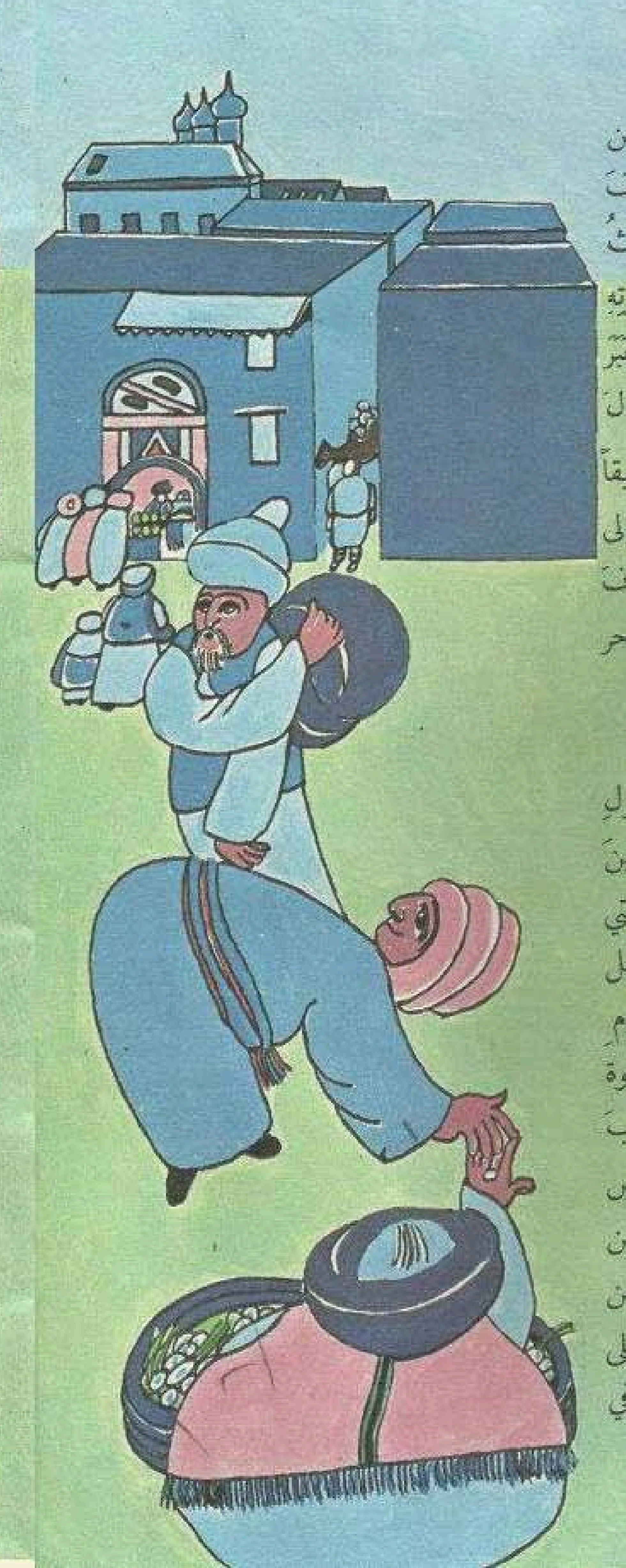
وعن بغدادَ كتبَ قائلاً : «إنها مدينةُ دارِ السلامِ ذاتُ القَدْرِ الشريفِ والفضلِ المُنيفِ مَثْوَى الخُلَفاءِ ومَقَرُّ العُلَماء» .

بعد أن تَجَوَّلَ في شوارعها وطافَ بجوامِعِها وأسواقِها ووصفَ رَصَافَتَها وكَرْخَها ارتحلَ إلى المُوصلِ فذكرَ أنها «مدينةٌ عتيقةٌ كثيرةُ الخِصْبِ وقلعتُها المعروفةُ بالحدباءِ عظيمةُ الشأنِ شهيرةُ الامتناعِ» .



وكانَ يقيمُ بكلِّ مدينةٍ يزورُها فترةً من الزمنِ ثم يرْحَلُ منها إلى غيرِها . وهكذا طافَ بسنْجارَ وماردينَ وغادَرَهما إلى إيرانَ حيثُ تجوَّلَ في رُبوع شيرازَ وأصفهانَ وعادَ بذاكرتِهِ إلى رحلتِهِ السابقةِ فتذكر كيفَ زارَ اليَمَنَ وعَبَرَ البحر الأحمر إلى إفريقيةَ فزارَ الصومالَ وعاصِمتَهُ مَقَدشو ثم توَغَّل في أفريقية عميقاً وركبَ سفينةً من إحدى موانئها الشرقية إلى الخليج العربي حيثُ زارَ ظُفارَ وُعمانَ والأحقافَ وشاهدَ صيادي اللؤلؤ وهم يغوصونَ في البحر طَلَباً له بين سيرافَ والبحرين .

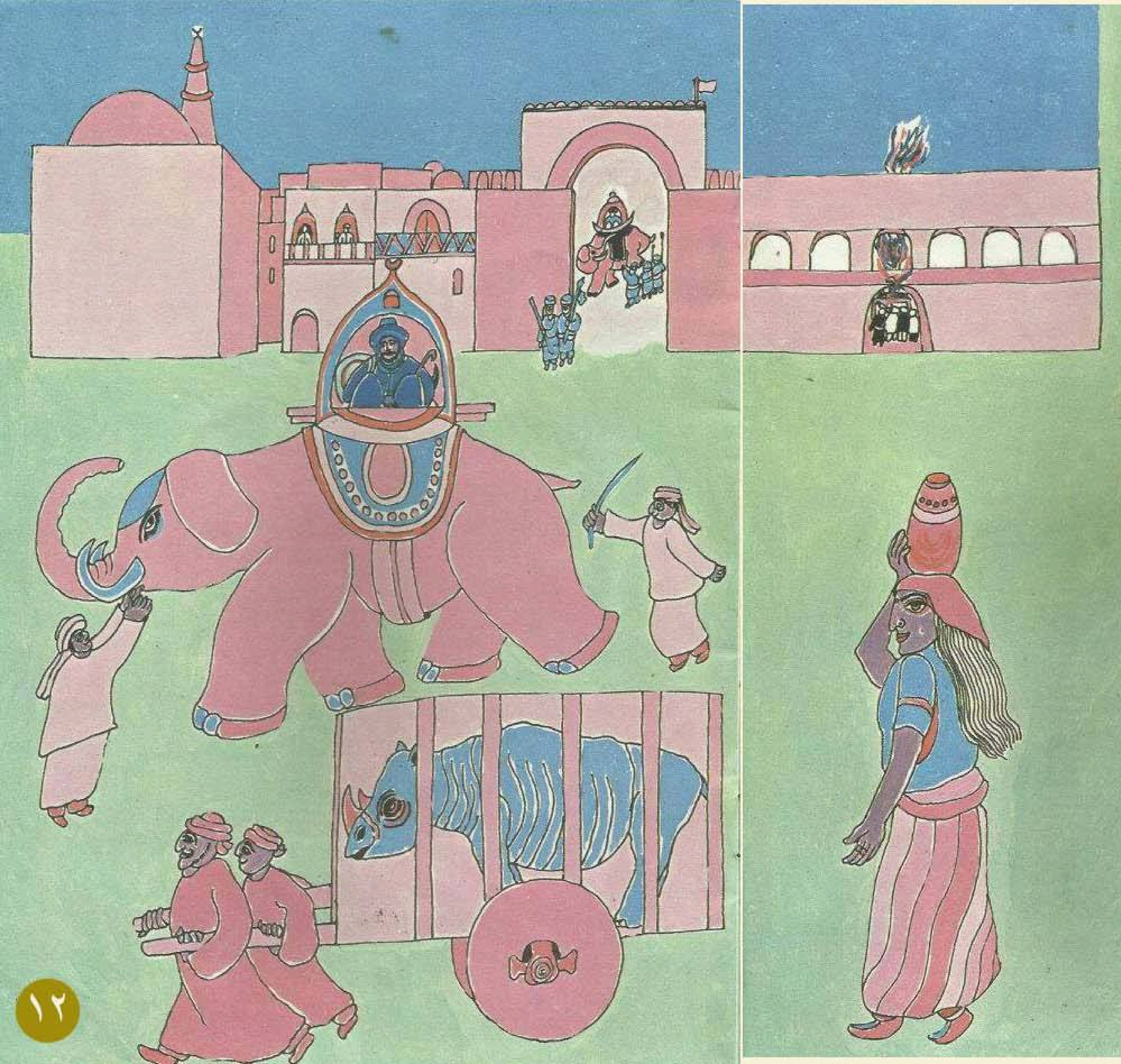
ومن إيران صَعَدَ شمالاً إلى بلادِ الأَنَضولِ وهي الجمهوريةُ التركيةُ اليومَ . فزارَ سلاطينَ مُدُنِها ومنازلَ فِتيانِها وشاهدَ العجلاتِ التي تَجرُّها الخيولُ والنساءَ الفارساتِ حتى وَصَلَ القسطنطينيةَ وكانت عاصمةً بلادِ الرومِ البيزنطيين . فتعجَّبَ من ضخامةِ مبانيها وقوةِ أسوارِها وكثرة سُكّانِها . وغادَرَها صَوْبَ الشرقِ إلى بلاد خَوارِزْمَ وهي ضِمْنَ الأرضِ السوفياتيةِ اليوم ، وكانت سابقاً جزءاً من العالَمِ العربي – الاسلامي . وقد تَعَجَّبَ من كثرةِ الزِّحام في أسواقِ مُدُنِها وتعَّرفَ على قُضاتِها وأكَلَ من بَطّيخها الذي «لا نظيرَ له في بلادِ الدنيا شرقاً ولا غرباً» .



من خَوارِزْمَ ارتحلَ إلى هَرَاةَ من مُدُنِ جمهورية أفغانستانَ اليومَ . . . ثم استعدَّ إلى مسيرةِ السَّفرِ الشاقَّةِ إلى الهند .

وشملَتْ جولتُهُ في الهند ما يُعرفُ اليومَ بالهندِ وباكستانَ وبنغلاديش . وقد أدهشته (دهلي) وهي المعروفةُ اليومَ بعاصمة الهند دلهي . ففيها ركبَ الفيلَ لأول مرَّةٍ في حياتِهِ وشاهَدَ الكركدنَّ وصَوَّرَهُ بأنه حيوانٌ أسودُ اللونِ رأسُهُ كبيرٌ وله قَرْنٌ واحد . . . وركبَ في سفينةٍ عبرت به نهر السند وتعجب عندما رآى الهنودَ وهم يحرقون جُثَثَ موْتاهم بالنار . وكانَ سُلطانُ الهندِ يومذاك مُسْلماً . وقد استدعى هذا السلطانُ الرحّالةَ العربيَّ ابنَ بَطُوطةَ وسألَهُ عن أحوال بلاد العَرَبِ وأكْرَمَهُ .

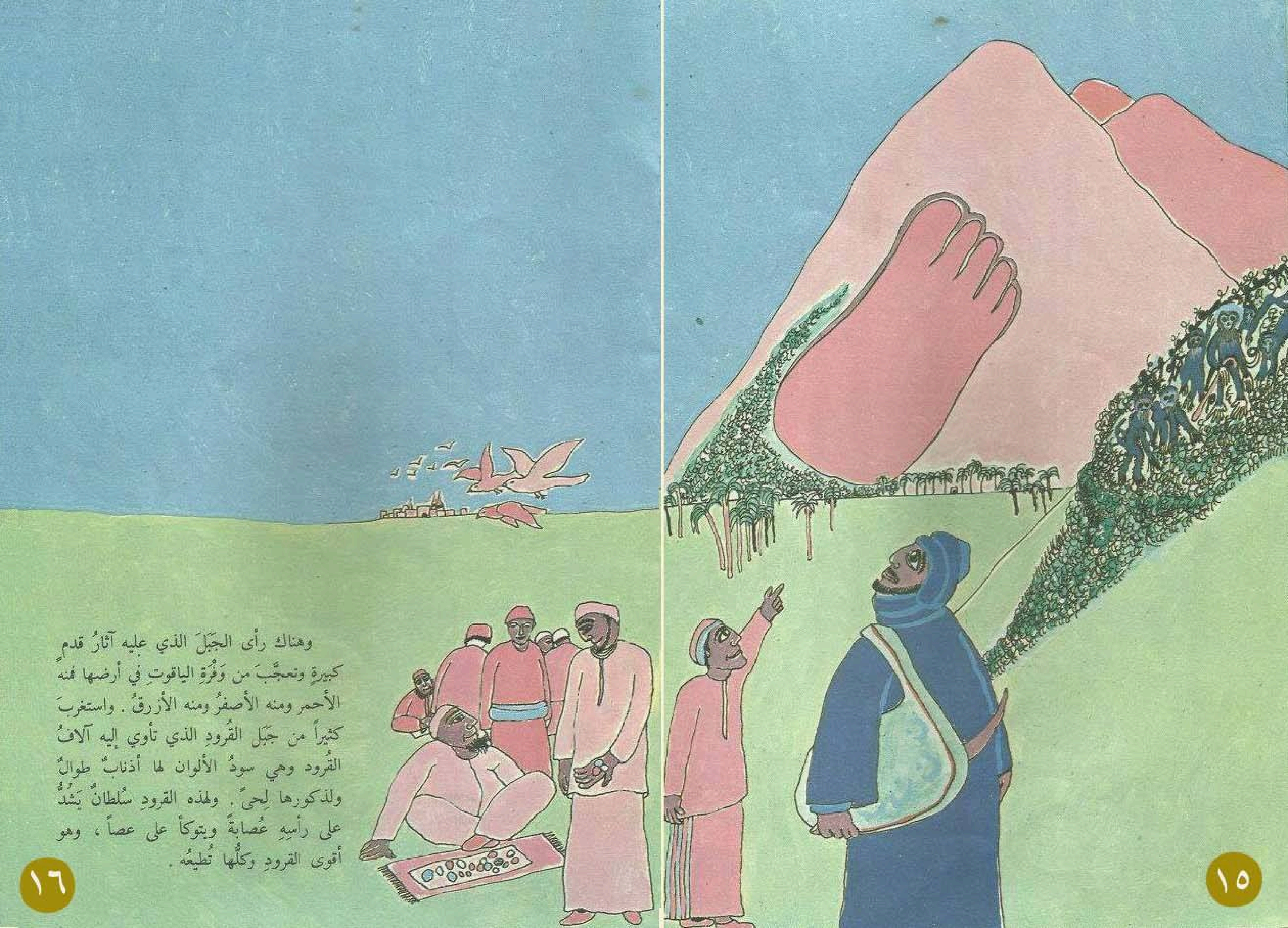
وطالتْ إقامةُ ابنِ بطوطةَ بالهند حيثُ تزوجَ فيها امراةً أنجبت له بنتاً . ولكنهُ ما لبثَ أن عاوَدَهُ الحنينُ إلى السَّفرِ فخرجَ في طريقه راحلاً حيث تعَرَّضَ إلى هجوم عصابةٍ من قطَّاعِ الطُّرقِ استطاع الفرارَ منهم بالاختباءِ في خَنْدَقٍ عظيم لعدة أيام حتى ذهبَ اللصوصُ فتابَعَ طريقَهُ وقد فَقَدَ كلَّ متاعِهِ إلا سَيْفَهُ .





بعد أن وَصَلَ إلى موانيءِ الهندِ الجنوبيةِ رَكِبَ سفينةً صغيرةً أقْلَعَتْ به إلى جزائر (ذيبة المَهْل) وهي التي تؤلفُ اليومَ جمهوريةَ (مالديف) وهناكَ اندهشَ من رؤيةِ أشجار النارجيلِ والسمكِ البحري الذي لم يَرَهُ من قَبْلُ. وذَكَرَ أن بيوتَ أهلها من الخشبِ وأن سُكانَها أهْلُ نظافةٍ وتنَزُّهٍ عن الأقذار ولهم أمانةٌ وأدب. وأنَّ نساءهُم يُغَطِّينَ رؤوسَهُنَّ ويُمَشِّطْنَ شُعورَهنَّ ويعملنَ مع الرجالِ ولإحدى جزائرِ مالديف سلطانةٌ تُدعى خديجة بنت السلطانِ جلالِ الدين.

وقد أُعْجِب أهلُ مالديف بابنِ بطوطةَ فطلبوا إليه أن يكونَ قاضياً للبلاد فَقَبِلَ الرَّحَّالةُ الطَّلبَ وظلَّ مُدَّةً يعملُ في هذا المَنْصِبِ ويُدَرِّسُ الناسَ العربيةَ والأدبَ... وبعد فترةٍ طويلةٍ ودَّعهم مُسافراً إلى سَرَنْديب وهي الجزيرةُ التي كانت تدعى سيلان وصارت اليومَ جمهورية سري لانكا.



وهناك رأى الجَبَلَ الذي عليه آثارُ قدمٍ كبيرةٍ وتعجَّبَ من وَفْرَةِ الياقوتِ في أرضها فمنه الأحمر ومنه الأصفرُ ومنه الأزرقُ . واستغربَ كثيراً من جَبَلِ القُرودِ الذي تأوي إليه آلافُ القُرود وهي سودُ الألوان لها أذنابٌ طوالٌ ولذكورها لِحىً . ولهذه القرودِ سُلطانٌ يَشُدُّ على رأسِهِ عُصابةً ويتوكأ على عصاً ، وهو أقوى القرودِ وكلُّها تُطيعُه .